شوقية أخرى لم تنشر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

قد يعجب قراء الرسالة الكرام فى كافة الأقطار الناطقة بالضاد من حبى وإعجابى بشعر خالد الذكر أمير الشعراء شوقى بك . والسبب فى ذلك بسيط جدا ، وهو أننى أعد شوقى القمة الشامخة فى الأدب العربى ، تلك القمة التى لا يدانيها أحد قط منذ أن جدد بشار حتى الآن إلا حبيب بن أوس الطائى الملقب بأبى تمام ، أستاذ الشعراء فى عصره ، والذى أعده أثقف شعراء زمانه ، فحبيب عندى من الشعراء القلائل الذين قلما تجود العربية بهم . وهو يختلف عن ابن الرومى وأحمد بن الحسين بسعة أفقه وخصب خياله وعمق ثقافته . ومن تصفح ديوانه وقرأ شعره قراءة دراسة واستقصاء علم ما أذهب إليه . ولا أريد فى هذه العجالة أن أحلل شعره ، أو أشير إلى مواطن الإبداع فى قصائده ، أو أختار له من نفائسه شيئا ، وإنما هى عجالة ألجأنى إليها كلمة جاءت عرضا ، لذلك لم أشأ أن أمر على شعر أبى تمام دون أن أشير إلى آياته التى أبدع فيها ، وخصوصا بائيته الخالدة ومطلعها :

السيف أصدق إنباء من الكتب ... فى حده الحد بين الجد واللعب

ورائيته :

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

ونونيته التى تعد فى مصاف الرائية :

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما إن به إلا الوحوش قطين

ومنها هذا البيت الخالد :

قد كان عذرة مغرب فاقتضها ... بالسيف فحل المشرق الأفشين

ومنها هذه الأبيات :

فأعادها نهبى الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهى عرين

جادت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من الدم قبل ذاك مفاوزاً ... غبرا فأمست منه وهى معين

وغيرها من القصائد التى يحفل بها الديوان . هذه كلمة مناسبة قلتها وأود أن أتوسع فيها فى وقت آخر ، وخاصة عندما تعرض للدراسة الدكتور محمد مهدى البصير عن هذا الشاعر ؛ تلك الدراسة التى اشترتها منه وزارة معارف العراق العمومية بـ (٧٠٠) دينار وهى لا تستحق حتى الطالعة . فإذا ما قلت فى المقدمة إن خالد الذكر المرحوم شوقى بك قمة شامخة فى الأدب العربى فأنا لا أتعدى الواقع . وقبل أسابيع نشرت قصيدة له لم تنشر فى ديوانه ، واليوم أزف لعشاق شعره قصيدة أخرى عثرت عليها عند صديق الأستاذ الشاعر خضر الطائى وهو محقق ديوان المرجى . وقد كان هذا الأستاذ قد حصل عليها منذ سنة ١٩٣٠ ميلادية وبقيت فى أوراقه حتى هذه الأيام . وقد نظمها أمير الشعراء شوقى بك فى تكريم الأستاذ سامى شوا عازف الكمان المشهور بعد عودته من أمريكا . وهأنذا أزفها إلى تلك الطبقة المثقفة فى البلاد العربية كما زففت من قبلها قصيدته « جهاد مصر الوطنى » . وقبل أن أدرج لهم القصيدة نفسها التى دعاها شوقى بـ « صاحب الفن » أود أن أهمس فى أذن صديق الأستاذ على شوقى بك وزير مصر المفوض فى باريس أن لوالده رواية « الست هدى » و « البخيلة » ولا زالتا مخطوطتين ! فهل من الواجب الأدبى والوطنى أن تبقى مخطوطات سيد شعراء العربية فى دهاليز النسيان ؟ ! هذا ما أردت أن أعاتب به صديقى على بك النجل الأكبر لأمير الشعراء ، وعسى أن تكون هذه الكلمة منبهة له أو لأخيه الأستاذ حسين صاحب كتاب « أبى شوقى » ...

لاشك أن القارئ الكريم مل من هذه المقدمة وهو يرغب فى الشوقية التى لم تنشر إلا سنة ١٩٣٠ فى جريدة مصرية عثر عليها صديقنا الأستاذ خضر الطائى الشاعر العراقى المعروف ، وها هى :

صاحب الفن

يا صاحب الفن هل أوتيته هبة ... وهل خلقت له طبعا ووجدانا
وهل وجدت له في النفس عاطفة ... وهل حملت له في القلب إعانا
وهل لقيت جمالا في دقائقه ... غير الجمال الذي تلقاه أحيانا
وهل هديت لكنه من حقائقه ... يرد أعمى النهى والقلب حيرانا
الفن روض يمر القاطفون به ... والسارقون جماعات ووحدانا
أولى الرجال به في الدهر مخترع ... قد زاده جدولا أو زاد ريحانا
البقرية فيه «غيره»(١) مالكه ... إذا مشى غيره لصا وجنانا
لا تسأل الله فنا كل آونة ... واسأله في فترات الدهر فنانا

* * *

يا واحد الفن في أشجى معازفه ... هذا أوان الشاء العذل قد آنا
يا رب ليل سمرنا الراح فاختلفت ... على بنانك للسمار ألحانا
تلك الليبة من عود ومن وتر ... لولا بنانك لم تجمل لها شانا
قد آنست رحمة في الصدر فانكلت ... بجانب الأذن تستوحيك شيطانا
كأنها عش طير هاج آهله ... من كل ناحية ينساب أشجانا
ضممتها وتواصت راحتاك بها ... ضم الوليدة إشفاقا وإحسانا
تملي عليها الذي توحي إليك به ... كأن «داود» و «المزمار» ما بانا
حركتها فأتاها الروح فاندفعت ... تبكي وتضحك أوتارا وعيدانا
يا طيبها حين تحدوها بمنجرة ... كخرطم النحل أرواحا وألوانا
مصرية الدير وهابية(٢) عذبت ... شدوا ونوحا وترجيعا وتحنانا
ذكرت خلقا وراء البحر مغتربا ... مآلفا وسبابات وأوطانا
غنيتهم بأغاني المهد فالتمسوا ... في ملتقى القوس والأوتار لبنانا
ولو هتفت «بيتهوفن» ما انصرفت
لك القلوب وإن صادفت آذانا

(١) كلمة غير أظنها محرفة
(٢) الليبة — تصغير لبة وهي الدمية
(٣) أي موهوبة *

* (الرسالة) الأقرب إلى الصواب أن تكون وهابية منسوبة إلى عبد الوهاب المغني المعروف وقد كان شوقي شديد الاعجاب به

سقيتهم من سلاف طالما دخلت ... عليهم المهد أعنابا وألبانا
فمن تعطل منه الشرق آونة ... وكان شغل بني العباس أزمانا

بهذا يختم شوقي هذه الرائعة التي قالها في تكريم أمير الكتاب الأستاذ سامي شوا عند عودته من أمريكا. ولا أريد أن أعلق عليها بمثل ما علقت على قصيدته السالفة، لأن في العراق أقواما يسوؤهم أن يكون شوقي أعظم شعراء العربية بعد أبي تمام، فهم يريدون أن تقول — ونجازف بالقول — إن الرصافي أعظم منه. وأنا لا أريد أن أجاري هؤلاء ومنهم الدكتور مهدي البصير وبعض أساتذة الأدب العربي في العراق، لأنني أفهم منهم لمعاني الشعر ودقائقه، ولكن على رغم ذلك أقول إن شوقي هو الشاعر المطلق، وغيره من شعراء العراق كالرصافي والزهاوي ساهما إلا أقزام صغار؛ فهلا يعتبر الجاهلون

بغداد — عبد القادر رشيد الناصري

تاريخ الأدب العربي

للاستاذ أحمد حسن الزيات بك

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر، بأسلوب قوي، واستيعاب موجز، وتحليل مفصل، واختيار موفق، ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى

طبع اثنتي عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد